مَحَلُّكَ مَقْصُودٌ وَشَانِيكَ مُفْحَمٌ
وَمِثْلُكَ مَفْقُودٌ وَنَيْلُكَ خِضْرِمُ(١)
وَزَارَكَ بِي دُونَ المُلُوكِ تَحَرُّجٌ
إِذَا عَنَّ بَحْرٌ لَمْ يَجُزْ لِي التَّيَمُّمُ(٢)
فَعِشْ لَوْ فَدَى المَمْلُوكُ رَبًّا بِنَفْسِهِ
مِنَ المَوْتِ لَمْ تُفْقَدْ وَفِي الْأَرْضِ مُسْلِمُ(٣)

ورائي وقدامي عداة

اجتاز بمكان يعرف بالفراديس من أرض قنّسرين فسمع زئير الأسد فقال:

[الطويل]

أَجَارُكِ يَا أُسْدَ الْفَرَادِيسِ مُكْرَمُ
فَتَسْكُنَ نَفْسِي أَمْ مُهَانٌ فَمُسْلَمُ(٤)
وَرَائِي وَقُدَّامِي عُدَاةٌ كَثِيرَةٌ
أُحَاذِرُ مِنْ لِصٍّ وَمِنْكِ وَمِنْهُمُ(٥)

---

(١) الشانئ: المبغض. المفحم: العاجز عن النطق. النيل: العطاء. الخضرم: الكثير. يمدح الشاعر ممدوحه بصفات إنسانية رفيعة يميل إليها عقول الناس وقلوبهم؛ فالناس يقصدون الممدوح ليجدوا عنده الكرم والرأفة والحبّ والرعاية، وقد خلا الممدوح من كلّ عيب، لذا فلا يجرؤ مخلوق على القدح فيه وذمّه، فالأعداء يشهدون له بصلاحه واستقامته، وذلك لتفرّده بتلك الصفات، ويُضاف إليها كرمه الفيّاض.

(٢) تحرّج: تأثّم. عنّ: بدا. التيمّم: التوضؤ بالتراب في حال عدم وجود الماء. يُخاطب الشاعر ممدوحه منوّهاً بحبّه وإعجابه به دون سائر الملوك، فجميعهم يرغب بمدح الشاعر له، ولكنه فضّله عليهم جميعاً، لشدّة حرجه من الوقوع في شرك إغوائهم له لأنه قد رأى بحراً في أعماقه الخير كلّه والجود فغاص فيه مفضلاً إياه على الرمال المتمثّلة بغيره من الملوك وولاة الأمر.

(٣) فدى: ضحّى. المملوك: العبد. الربّ: السيد. يتمنّى الشاعر لممدوحه دوام العمر وألّا يموت، فسائر المسلمين يودّون أن يفدوه بأنفسهم ما دامت الحياة، لأنهم مملوكون من قبله، وهو سيّدهم.

(٤) و (٥) الفراديس: موضع في بلاد الشام. يُخاطب الشاعر آساد ذلك المكان، وقد أدرك =

فَـهَـلْ لَـكِ فِـي حِـلْـفِـي عَـلَـى مَـا أُرِيـدُهُ
فَـإِنِّـي بِـأَسْـبَـابِ الـمَـعِـيـشَـةِ أَعْـلَـمُ(١)
إِذاً لَأَتَـاكِ ٱلْـخَـيْـرُ مِـنْ كُـلِّ وِجْـهَـةٍ
وَأَثْـرَيْـتِ مِـمَّـا تَـغْـنَـمِـيـنَ وَأَغْـنَـمُ(٢)

لا تلمها

وأديرت اللعبة فسقطت فقال:

[المنسرح]

مَـا نَـقَـلَـتْ فِـي مَـشِـيـئَـةٍ قَـدَمـاً
وَلَا ٱشْـتَـكَـتْ مِـنْ دُوَارِهَـا أَلَـمَـا(٣)
لَـمْ أَرَ شَـخْـصـاً مِـنْ قَـبْـلِ رُؤْيَـتِـهَـا
يَـفْـعَـلُ أَفْـعَـالَـهَـا وَمَـا عَـزَمَـا(٤)
فَـلَا تَـلُـمْـهَـا عَـلَـى تَـوَاقُـعِـهَـا
أَطْـرَبَـهَـا أَنْ رَأَتْـكَ مُـبْـتَـسِـمَـا(٥)

= الليل وحلّت الظلمة، فإذا بالشاعر يُحسّ بوحشة المكان، وقد علا الزئير يزيده رعباً، فما كان منه إلّا أن خاطبها سائلاً بلغة الواثق من شجاعته، ليُحسّ بالأمن والطمأنينة، فهل سيكون آمناً في جوارها، سالماً من أذاها؟ وهو ملاحق. من الأعداء في كلّ مكان ينزل فيه، وهل ستكون له حليفة، والحليف يحمي حليفه، فضلاً عن لصوص يعملون على سلبه ما يملك؟

(١) و (٢) يُردف الشاعر كلامه سائلاً الآساد وطالباً منها أن تكون حليفة له، وهو بإمكانه أن يُؤمن لها القوت لشجاعته، فهو بطل يفتك بالأعداء؛ وهو أريب في أسباب تأمين سبل معيشتها، فيكون لها ما ترغب من معاش ومغنم، ويكون له حسن جوارٍ وحماية ومغنم من قتلاه.

(٣) و (٤) يصف الشاعر لعبة كانت تتحرّك في ديوان بدر بن عمَّار، إنّها تدور وترقص وتمشي فإذا بها تهوي وتسقط أرضاً، ممّا أدهشه ولم يكن قد شاهد قبل ذلك لعبة تقوم بعمل كهذا، ولكنه كان على يقين أنها لا إرادة لها ولا حسّ، ولم تشكُ ألماً أو دوَاراً.

(٥) ولقد برّر الشاعر وقوع تلك اللعبة، أنها شاهدت ممدوحه فوقعت أرضاً مهابة له، لأنها رأت ابتسامته قد ارتسمت على محيّاه علامة السرور والاستغراب.